مسار الأنساق اللغوية في قصيدة "تساؤل نفس" للبشير الإبراهيمي

- الواقع والآفاق - مقاربة سيميائية

THE COURSE OF THE LINGUISTIC PATTERNS IN THE POEM "QUESTION OF THE SAME" BY BASHIR IBRAHIMI - REALITY AND PROSPECTS - SEMIOTIC APPROACH

الطالبة: زهرة بللو

جامعة أحمد بن بلّة وهران1(الجزائر)

zohra.bellelou@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2018/01/23 تاريخ القبول:2019/03/17 تاريخ النشر: 2019/04/01

الملخص باللغة العربية:

كان الشعر ولا يزال ديوان العرب التليد، يزخر برؤية لسانية وما وراء لسانية، كائنة بين صمت فونيماته، وقلقلة مورفيماته، وحشرجة مونيماته، يحمل بين سطوره حمولة دينية وثقافية واجتماعية وسياسية واقتصادية.

وتأسيساً على ذلك ارتأينا أن نخوض غمار النص الشعري للبشير الإبراهيمي بالإجراء السيميائي في هذا البحث المتواضع، نتوخى من خلاله دراسة السمات اللفظية والتصنت لحركيّتها القابعة بين صدر وعجز، أنتجت أبياتاً شعرية محكمة البناء، ومتراصة المعاني، وجيّدة السبك، متسقة ومنسجمة المحورين.

إلى أيّ مدى حقّقت السّمات اللفظية خطابية قصيدة تساؤل نفس للبشير الإبراهيمي؟

وما هو الأفق السيميائي المراد إيصاله إلى القارئ الجزائري و المغاربي على العموم؟

الكلمات المفتاحية: خطابية; الأنساق اللغوية; الأفق السيميائي; النسج الشعري; المضامين التعبيرية.

ABSTRACT :

The poetry of the arabes is still celebrated Arab divan, full of linguistic and linguistic vision, It exists between the silence of his phonemes, the sound of his morphines, and the movement of his monimates, It carries a religious, cultural, social, political and economic weight.

On the basis of this, we felt that we are engaged in the text of poetry of Bachir El-Ibrahimi, with Semiotics procedure in this research, we envisage the study of verbal features and Intonation of its mobility between the two parts of the poetic house, abiata produced poetic construction court and monolithic meanings, consistent and harmonious axes.

To what extent did the verbal and rhetorical features have achieved a similar question for the Bachir El-Ibrahimi?

What is the symbolic horizon to be communicated to the Algerian reader and the Maghreb in general?

Keywords: Rhetorical; Language formats; Symphonic horizon; Poetic tissue; Expressive content.

توطئة:

تهتم النظرية اللسانية بأنساق اللغة الطبيعية، وبتراكيبها المتحقّقة أو الممكنة التحقّق، وبتطوّرها التاريخي وبمختلف أنشطتها الثقافية ،ووظيفتها المجتمعية وأسسها المعرفية، ولابد من حضور المجالات المتعددة والعلوم المختلفة في الدّرس اللساني أثناء تحليل الخطاب. يرجع بعض الباحثين بروز هذا العلم الطليعي الرائد – لسانيات النصّ- إلى العهد الأرسطي فيربطون بينه وبين مقولات أرسطو في البلاغة والخطابة والشعر.

"إنّ المستقرئ الراهن اللسانيات اليوم يلحظ نزوعاً نحو الصورنة formalisation... قد جعلت من الدّرس اللغوي مجالاً لتشريح اللغة مخبرياً، كما لو كان الأمر متعلّقاً بمادة فيزيائية معزولة ،حتّى غدت الوقائع اللغوية بمثابة وقائع تجريبية، تضطلع اللسانيات برصدها وتفكيكها، ومفصلتها بالاستناد إلى أمثلات لم يعرف حدس اللغة صنوا لها مثل الثورات العلمية الحديثة"[1]

ويرى بعض الباحثين إلى أنّ هناك ارتباطاً وثيقاً بين البلاغة وعلم النصّ، لأنّ البلاغة تضع في الحسبان مستويات القرّاء وأحوالهم النفسية والاجتماعية، وتعدّد القراءة، وأشكال التواصل، ودرجات الفهم والاستيعاب، وغيرها من المبادئ التي يقوم عليها التحليل النصّي الحديث للنصوص النثرية والشعرية.

كان الشعر ولا يزال ديوان العرب التليد يزخر برؤية لسانية وما وراء لسانية كائنة بين صمت فونيماته، وقلقلة مورفيماته وحشرجة مونيماته، ويحمل بين سطوره حمولة دينية وثقافية واجتماعية وسياسية واقتصادية.

ويصبو الشاعر من نسجه لهذه البنية العليا الكلية إلى رؤية استشرافية هائلة القيم، بديعة السّيم وعظيمة المثل، يروم الشاعر العربي والمغاربي بالخصوص إلى اللحمة العربية الإسلامية، والألفة الإنسانية، وما أحوجنا في هذا العالم – الذي يحكمه المُسترقم الغربي- إلى نسق الذوات العربية المتحابّة، الناطقة باسم الإسلام والعروبة.

1) واقع علم النص:

عقب التكوثر العلمي الحاصل، أخذت الدراسات النصية تنحو منحى جديداً، مرتكزة تارة على الدّرس وفحص الكفاءة الأدائية للغة، وإمكاناتها التركيبية والدلالية، بوساطة النظر في عناصرها على مستوى الجملة وما دونها، ومرتكزة تارة أخرى على الاستعمال من خلال فحص النواحي الاتصالية للعملية اللغوية، أي بالتركيز على النصّ كإجراء في عملية اتصال حيّة " أنّ البدايات الفعلية لنحو النصّ كانت على يد زيلج هاريسZellig Harris في النصف الثاني من القرن العشرين وذلك في دراسة دل هيمز Dell Hymes 1960م، الذي ركّز على أهمية السياق الاجتماعي للنّص".[2]

وتأسيساً على ذلك اِرتأينا أن نخوض غمار أجرأة النصّ الشعري للبشير الابراهيمي، بالمعول السيميائي في هذا البحث المتواضع، نتوخى من خلاله دراسة السّمات اللفظية والتصنّت لحركيتها الداخلية القابعة بين صدر وعجز، أنتجت أبياتاً شعرية محكمة البناء ومتراصة المعاني، وجيّدة السبك، متسّقة ومنسجمة المحورين.

وأمارة ذلك ما ألفيناه من خصيصة التّواسم في أركان القصيدة شاملة، حيث أدى تداخل السمات وتضافر بعضها مع بعض إلى إنجاز فعل سيميائي حافل بعلامات متشاكلة ومنتشرة في حيّز النسج الراقي.

إلى أيّ مدى حقّقت السّمات اللفظية خطابية قصيدة "تساؤل نفس" للبشير الإبراهيمي؟

وما هو الأفق السيميائي المراد إيصاله للقارئ الجزائري و المغاربي على العموم؟ "لست أعني بالأدب جملة أعمال، ولا قطاعاً من التبادل والتعليم، وإنّما الخدش الذي تخلقه آثار ممارسة، هي ممارسة الكتابة. وأقصد أساساً النصّ، وأعني نسيج الدلائل والعلامات التي تشكل العمل الأدبي، ما دام النصّ هو ما تثمره اللغة، وما دامت اللغة ينبغي أن تحارب داخل اللغة..."[3] وبفعل الدور الذي تقوم به الكلمات، والتي تشكّل مسرح النصّ.

2) **نحووعي نقدي لقراءة التراث:**

راهنت المناهج النقدية المعاصرة، وإشكالات التلقي والمناهج المرتبطة بخلفيات معرفية وثقافية على قراءة النصوص الإبداعية، بآليات إجرائية جديدة "... يتخذ أصحابها من بعض الأطروحات كقضية إنمحاء الأجناس الأدبية، والكتابة ما بعد الحداثية، وكذا استراتيجيات التفكيك، ورفع لواء الموضوعية العلمية، معاول لإثارة أسئلة لم تكن قادرة على الاستجابة لهموم القارئ العربي، بل إنّها ساهمت في تنميط النقد والإبداع، على حد سواء، وحصلت فجوة بين تحصيل هذه الثقافة وتوصيلها إلى المتلقي العربي"[4]، هذا ما يدعونا إلى العودة إلى تراثنا التليد وأصالته، وإعادة إحيائه من جديد في حلة خطاب تفاعلي حديث، ومدارسته بميكانيزمات علمية جديدة، تساير النهضة اللغويّة. "عندما نتأمل المشهد النقدي المعاصر، مركزين على أهمّ التخصّصات التي تطبع الثقافة النقدية، تبرز لنا مجالات البحث السيميائي التي تعبر اليوم كل التخصّصات، وتوسّع عناصر إنتاجها، فتقام لها مراكز بحوث توجّه الأفكار والقيم... لقد أدّت عالمية العلامة إلى تتبّع تحولاتها واختراق مختلف أنساق المعرفة وأشكالها، ونتج عن ذلك زحف السيميائيات على مختلف مجالات البحث، ولقد سمحت الشروط التاريخية والثقافية والنفسية التي تمّ فيها انتقال النمط العولمي إلى المجال الأدبي العربي بانتقالها..."[5] كما سمحت البنيوية والتفكيكية والتقويضية، وغيرها من المناهج، التهافت على تجزيء الخطاب الشعري العربي وتحليل عناصره.

ونحن نتوخى من هذا الملتقى العلمي ،قياس الشعر العربي المغاربي بمقياس سيميائي حديث لقياس درجة شعريته، ولرّبما تفوّق على الجهاز السيميائي وهذا يعني أن هناك مستويات متعدّدة تدلّ على نشاط العقل

العربي في اشتغاله بالعلامة اللغوية، ليَعبر إلى علامة غير لغوية، ويرصد تشكلات المعنى ووجهات الدلالة وتخومها واستراتيجية تأويلها.

"وتنبغي الإشارة هنا إلى أنّ الثقافة العربية الإسلامية لم تكن بمنأى عن التفكير السيميائي سواء في الدراسات اللغوية والأدبية والبلاغية – سيبويه وابن جني وابن فارس وابن سيدة، والجاحظ وأبي هلال العسكري وعبد القاهر الجرجاني وحازم القرطاجني والسكاكي، أو في الدراسات الفلسفية والمنطقية –الكندي والفارابي وابن سينا..."[6] ولقد عبّر أبو حامد الغزالي بأنّ الشيء وجود في الأعيان ثمّ الأذهان ثم في الألفاظ ثمّ في الكتابة، وهكذا وصلت إلينا قصيدة الإبراهيمي لمّا رأت عينه وفاة صديقه ابن باديس، فارتدت الأفكار والخواطر في ذهنه، ومن ثمة سيقت في ألفاظ متراصّة، شكلّت قصيدة مكتوبة في ديباجة منفية عبر جدران سجن آفلو. "ومن الأسبآب المتمنّاة في الحبَ أن يهب الله عز وجل الإنسان صديقاً مخلصاً، لطيف القول، بسيط الطول، حسن المأخذ ورقيق المنفذ، متمكّن البيان، مرهف اللسان، جليل الحلم، واسع العلم، قليل المخالفة، عظيم المساعفة، شديد الاحتمال، صابرًا على الإذلال..."[7]. هذه هي خصال الإبراهيمي الذي صبر على ذل ومهانة المستعمر، لعلوّ أخلاقه، وطيبة نفسه، فكتب بأنامله تحت وطأه الظلم شعراً راقياً آسرًا العيون والعقول.

3) **ماهية الشعر**:

الشعر مصدر بمعنى العلم، جمع أشعار، وعند أهل العربية كلام يقصد به الوزن والقافية.

"إنّ اللغة هي مفتاح المعرفة، أداة التخاطب بين الأفراد والشعوب، وهي وسيلة للتفاهم، أو لغير التفاهم أيضا بين المتجادلين والمتحاورين بها تعلن الحروب، وبها تعقد إتفاقات السلام، بل بها يتمّ إعلان الإيمان..."[8]

لقد أوفت اللغة العربية بالغرض ساعة الحروب، في بلاد المغرب العربي، أوقدت نار المدمّر، وسعرت نار الشعر العربي، واتقدت وازدادت معانيها سعيراً، وهاجت الأفكار واستشاطت المشاعر، وعبرت اللغة في صمت وبصورة ضمنية خافتة الأصوات.

"إنّ أفضل تعريف للشعر هو قول "وانس دانتون" في دائرة المعارف البريطانية : "إنّ الشعر هو التعبير المادي والفني للفكر الإنساني بلغة عاطفية ذات إيقاع ".[9]

وقد عرّفه اليونانيون بأنه مركبة يجرها زوجان من الخيول المطهمة هما المخيّلة والشعور، يسيّرها رجل حكيم هو العقل .يمتاز الشعر بالوزن والشعور والخيال.

"ليس الأدب تاريخا يستذكر ولا التقامًا لطعام مضغة الغير، وإنّما هو في الأصل تذوّق واعٍ للفن واستساغة شخصية للجمال ، واكتناه ناضج لعناصر الحسن والإجادة..."[10]

لقد صوّر الشعر الحياة العربية وعّبر عن مناحي الحياة المختلفة، واضطرابات المجتمع من حروب ومجاعات، وآفات اجتماعية منذ العصر الجاهلي، وحتّى العصور المتقدّمة، إلاّ أنّنا نلفي الشعر العربي المعاصر قد تحرّر من الأفكار الكلاسيكية القديمة، ومن قيود المقدمة الطليّة ومن القافية، وأصبح يصطبغ بثقافة خاصة ووعي وإدراك للمفردات، فأضحى يسمّى بالنصّ المفتوح لأنّه يحتمل أكثر من قراءة.

إن "الشعر هو التشديد على المرسلة على حسابها الخاصّ"، المقولة الشعرية في بنيتها المادية تعتبر كالتالي، كما لو أنّ لها معنى متضمناً، كما لو كانت غاية في ذاتها...مؤكداً اللغة الشعرية...هذا هو مفهوم الشعر عند جاكبسون فهو لا يُعرّف الشعر كما يعرّفه الأدباء على أنّه صيغ كلامية عارمة بشحنات الشعر وبوارق الفكر، والتماعات الخيال..."[11] يؤكد جاكبسون Jakobson على شعرية الرسالة المرسلة، أي على بنية القصيدة في أجزائها الداخلية وفي حركتها الضمنية، وفي عنفوان أنساقها، هنا تكمن شعرية القصيدة في وظيفة الكلمات التي تولّد المعاني، وتخلق الطاقات الجادة والعواطف الجيّاّشة، وبدون الوظيفة الشعرية، تصبح اللغة ساكنة وغير دينامية."...أنّ الشعر مجرد ترف ذهني، و بذخ فني، وإنّه يتمحّص الشرود الذهني خارج مجال الحياة العملية...إذ يعدو أن يكون زخرفاً من الكلام أسراً ساحراً... فأولى لهم أن ينصرفوا عنه إلى سؤاله ممّا ينفعهم في الأرض، وهم يكابدون تكاليف الحياة وأثقالها فليس الشعر بعد إلاّ خيالاً جامحاً، وليس إلاّ ارتعاشاً من نسج الكلام خافقة..."[12]

يحمل الشعر زخماً كبيراً من القيم الفنية والجمالية التي تعطي معنى للحياة، فهو كالجوهرة الماسية التي تشّع اشعاعات ضوئية تنير على القارئ الدّرب للوصول به إلى برّ المعاني الصادقة والقيم الجليلة، أو كما سمّاه فاليري و بريمو بـ"الشعر الخالص" النابع من عاطفة الشّاعر، وشعوره المليء بالصدق والأمن والحقيقة الإنسانية . "لم يكن هذا الانصراف إلى الشعر والاهتمام به، من لدن الشعراء وحدهم، فقد شاركهم في ذلك العلماء والنقاد، ومن بين هؤلاء علماء اللغة الذين استهواهم الشعر فوقفوا عليه وقفات واتخذوا منه مادة أفادوا منها في بحوثهم، ودراساتهم..."[13]. يعّد الشعر العربي مصدر من أهم مصادر اللغة العربية، تواتر إلينا عبر الأجيال منذ حقبٍ خلت، وما زال ينمو ويتكاثر على أيدي الدارسين، يسقونه بينابيع النظريات اللغوية المعاصرة.

ويكون "...النص نظاماً فعّالاً Actuel system أي تجمّعاً من الوظائف التي يوجد من خلال عمليات قوامها الحكم والانتقاء، الذين يكونان بين عناصر النظام الافتراضي... ولهذا يمكن لإنشاء Evoluation النصّ أن يوصف بأنّه تفعيل Actualisation ..."[14].

هذه السّمة المميّزة للنصّ الشعري، أكسبته المعيار الجوهري للتعرّف على خصائصه ومفاتيحه، فقد يكون أكثر من كلمة وأكثر من مجموعة من الجمل، وأكثر من مجموعة من الفقرات، وقد يتألّف من عناصر ليس لها من النصّ من شروط، إنّها العناصر السيميائية.

4) مؤثرات الكتابة الشعرية:

إنّ هذا النوع من الكتابة- الشعر- قد تأثّر بمؤثرات كثيرة، مثل الاستعداد الفطري والخصائص العرقية والإقليم والدين والحضارة والحياة السياسية والاتصال بين الشعوب، حيث نجد أنّ شعر الأمة العربية يختلف اختلافاً كبيراً عمّاّ كان في البلاد المفتوحة ،فتأثرت الطّباع و رقّت بعدما كانت غليظة خشنة في العصر الجاهلي. ولماّ كانت الحياة السياسية عند شعب من الشعوب تقوم على الاستبداد والقوة والاستعمار، كانت حافزاً على الكتابة والإنتاج الأدبي، بشتّى الأنواع من مقالة وشعر وخطبة وقصة ورواية، مثلما هو الحال في بلاد المغرب العربي، إذ برزت الحركات القومية والوطنية في الأقطار العربية لمقاومة المستعمر.

إذن " فقد احتضن الحركة الوطنية منذ 1927 ،حيث عقدت فيه المؤثرات الهامّة، وانبثقت عنه الكثير من الأفكار الوطنية كفكرة جمعية العلماء والمؤتمر الإسلامي، ومشروع البصائر... وإلى جانب ذلك ملتقى السياسيين وجمهور العلماء والمثقفين، وكان مثابة للأدباء والشعراء تلقى فيه خطب الحماسة والقصائد الرائعة..."[15] فقد كان تصميم الشعر عندهم على النحو التالي: شعر المنابر سنة 1925، شعر الأجراس سنة 1925-1936، شعر البناء سنة 1936-1954، وشعر الهدف سنة1945 -1954، وشعر الثورة سنة 1954. ولم يكن همّ هؤلاء الشعراء والكتّاب المجاهدون سوى الدفاع عن خصائصهم القومية والحضارية، وإثبات هويتهم العربية، وإعلان حرية إنّيتهم الجزائرية التي طمستها فرنسا." ردّت الجزائر على هذه الخطة الفرنسية التي عزلتها عن جذورها القومية بالمقاومة الشعبية، وبالحركة الإصلاحية التي تزعمها ابن باديس وجمعية العلماء المسلمين التي شاركت في النهضة الفكرية الحديثة... فأصدرت الجمعية قراراً بإنشاء 206 مدرسة تخرّج منها نحو 4 آلاف مدرس العربية في الجزائر، تعاوناً مع مجموعة من رجال الفكر أمثال الطيب العقبي و محمد البشير الإبراهيمي، وأحمد توفيق المدني..."[16]

أمّا الاستعداد الفطري، فهو ما يخلق عليه الإنسان كدقة الحسّ، ودقة الشعور، والذكاء في القلب، والصفاء في الطبع، فيتأثر الشاعر بما يحيط به من مظاهر الطبيعة وبما يؤلمه من واقع الحياة، فيترجم تأثره نثراّ و شعراً. يقول أبو فراس الحمداني (ت.357هـ):

"يا طول شوقي إن كان الرحيل غدا لا فرّق الله فيما بيننا أبدا.

يا من أصافيه في قربٍ وفي بعدٍ ومن أخالصه إن غاب أو شهدا

راع الفراق فؤاداً كنت تؤنسه ود بين الجفون الدّمع والسّهدا

لا يبعد الله شخصاً لا أرى أنساً ولا تطيب لي الدنيا إذا بعدا

أضحى وأضحيت في سِرّ وفي علنٍ أعدّه والداً إذ عدّني ولدا "[17]

يمتاز شعره هذا برقّة العاطفة، وصفاء التودّد، وحرارة الشّوق، والدعاء الصادق، إنّها إخوانيات أبي فراس الحمداني، الشعر الأثر الذي يترك أثراً في نفس القارئ ،لذلك يلجأ المحللون إلى الانكباب على اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، أي الاهتمام باللغة وبناء النصّ لاستخراج المعادن الدفينة فيه، يقول ليوس بيتزرLeo Spitzer "...لذلك انصرفت عن بحث الحالات النفسية وشرح أساليب المؤلفين من –مراكزهم العاطفية- وجعلت تحليل الأسلوب خاضعاً لتفسير الآثار،- بوصفها منظومات شعرية- قائمة بحدّ ذاتها دون اللجوء إلى ميزاج المؤلف، ومنذ عام 1920 سلكت هذا المسلك الذي أسميه اليوم –المنهج البنيوي-"[18]

تمثّل الأسلوبية اليوم النقطة المركزية التي تدور حولها كل الدراسات اللغوية الحالية، إذ يستخدم الأسلوبيون معايير موضوعية عديدة ومعايير الإحصاء والجغرافية اللغوية التي تكشف عن الحياة الاجتماعية، ويطبقونها على النّصوص النثرية وخاصّة الشعرية منها ،ممّا أفرز هذا العقل أنواعا تعبيرية سواء كانت لغوية أم سيميولوجية ،فأمست الدراسة تتعمّق إلى حدود فضاء القصيدة وفراغاتها البانية، والبياض المهيكل لأجزائها وهندستها الصّوتية والفيزيائية، حتّى بلغت الدراسات اللغوية أوج تطوّرها، وتجاوزت الذّبذبات الصوتية الحاصلة على مستوى الحروف الى جسّ نبض حركية تفاعلات الكلمات الكيميائية، وتأثيرها على الكلمات المجاورة، كالذّرة الإشعاعية، معلنة عن ميلاد علم جديد، لامراء أنّه اللسانيات الكيميائية.

ونحن نروم في هذه الورقة البحثية إلى دراسة النّص الشعري الإبراهيمي دراسة لغوية ، معتمدين على بنيته الدّاخلية التي تقودنا إلى البنية الخارجية ،أي ندرس النّص دراسة نسقية استطيقية، ونحن نقدّر ذلك الاستعداد الفطري، الذي جُبل عليه شاعرنا المغاربي، بناه بالقريحة وصقل الموهبة ،والتمرّس والكتابة المستمرة ،وحفظه لكتاب الله الحكيم، وكتابته المتميّزة، هذه مظهر من مظاهر الحياة الانسانية، وميزه خاصة يعبّر بها الانسان عمّا يشعر به، وما يتأثر به خارجه، فهو صورة لمحيطه وابن بيئته. "إذ يرى توماس كامبل[*] أنّ الضمير الوطني للشعب الجزائري قد تحرك واستيقظ بمجرد ماحلّ الغرباء بالأرض."[19] تجربته الأرض الظاهرة هي التي حزّت في نفس الإبراهيمي، وصيرته شاعرًا فحلاً ومصلحاً مغواراً، وقف في وجه فرنسا بكتاباته، جريئا نبريسّا مقدامًا، يصارع بلا هوادة،" تساؤل نفس"، تساؤل أرض طيبة عن فقدان غالٍ عالمٍ فذٍ، عبد الحميد بن باديس.

5) من هو البشير الإبراهيمي:

في مثل هذا اليوم 20 ماي 1965 أفلّ نجم من نجوم الجزائر، لما أضاء بنوره الساطع ما يزيد على نصف قرن من الزمن، سكت اللسان الذي كان يصدع بالحقّ، ويدعو إلى الهدى، ويصارع الظلم والظالمين، ويستنهض الهمم إلى المعالي ،ويدعو النفس إلى مطاولة المكارم، وكان يتغنى بأمجاد الأمّة في ماضيها ، لتتخذ منه طاقة وقوة تستطيع أن تحقّق بها أما لها في الحاضر والمستقبل.

شيّعت الجزائر وهي مفتخرة بطلا من أبطالها البارزين الذين آمنوا وجاهدوا، لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى، هو الإمام الرائد، الذي نبض قلبه بالإيمان الراسخ ، والحب الصادق، والإرادة الجريئة،

إنّه علم من أعلام الفكر والأدب، ولد سنة 1889 رافق عبد الحميد بن باديس في قيادة الحركة الإصلاحية الجزائرية، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، من أهمّ مؤلفاته عيون البصائر، إننا نحتفل بذكراه أداءً للحق، وطلباً للأسوة، والتماساً للعظة، ووفاءً لرجل أيقن أنّ الحياة يجب أن تكون للإسلام والعروبة والجزائر.

ومن التراث الضائع للعلامة البشير الإبراهيمي هو ذلك البرنامج التربوي الحافل الذي وضعه الشيخ للمدارس العربية الابتدائية، "قال عنه المرحوم محمد العسيري أحد تلامذة الشيخ : وضع أستاذنا الجليل البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء، منذ سنوات برنامجًا حافلاً للتعليم العربي بجميع أنواعه، وضمّه أصولاً عظيمة من علم التربية"[20].

لقد كان مربي بامتياز نال الريادة في التربية وتأليف المناهج التعليمية التعلمية. يقول البشير الإبراهيمي في الآثار:" إنّ التربية بالقدوة قد تكون أبلغ من التعليم والترغيب، وغيرها من الوسائل لأنّ الأخذ بالشيء عملياً والتمسك به أكثر إقناعاً للمتعلم من الحديث عن الثناء عليه..."[21]. بعث الإبراهيمي وهو في المنفى رسالة إلى الأستاذ أحمد توفيق المدني، ليقدّم له التعازي في أخيهم الطاهر عبد الحميد بن باديس، يقول فيها" أعتقد أنّ الراحل أخي العزيز لم يكن لأحد دون أحد، بل كان كالشّمس لجميع النّاس، فلهذا بعثت أعزيكم على فقد ذلك البحر الذي غاض ،بعد أن فاض، ببقاء آثاره في الحياض، وأنهاره في الرياض..."[22] وذيل الرسالة بقصيدة وسمها ب "تساؤل نفس"، استهلها بالسؤال عن الراحل العزيز، الذي زرع الخير وبثّ العلم، وثقّف النفوس، ذلك الذي وهبه الله تعالى اللسان الجريء، والجنان المشّع، والرأي الملهم، والعقل الكيّس، والنفس الطاهرة.

ويتبيّن ممّا سلف أنّ أسلافنا لم يغفلوا في دراساتهم طبيعة الصّلة والتفاعل بين المبدع والمتلقي، وعلاقتها الوثيقة التي تساهم في إضفاء شرعية فهم النصّ، وتحديد فضائه، فالفرزدق مثلاً ما فتئ يؤكّد هذا الطرح عندما أجاب ابن الأعرابي: "علينا أن نقول و عليكم أن تؤوّلوا"، فهذه إشارة واضحة إلى تعدّد لقراءات النصّ الواحد و تنوّعها، والفكرة نفسها عبّر عنها بول فاليري بتعدّد النصّ، والنصّ الاحتمالي، وأسماها رولان بارت بالنصّ المنجّم Etoilé "[23]. ولقد غدى النصّ الشعري الإبراهيمي نصّاً منجمّاً، يرسل إشعاعات وإشارات ضوئية، تقود القارئ إلى فهم معاني أنساقها اللغويّة، إنّه واحد من هؤلاء الأشاوس الذين حاربوا المستعمر الفرنسي بالروح والقلم، فمن ذا الذي كان يستطيع أن يرفع صوته عالياً صادياً– في مطلع الأعوام الأربعين من القرن العشرين- والمدافع الفرنسية تحرق الأخضر واليابس، وتحمق النسل، وتحبط أعمال المجاهدين، إنّه البشير الإبراهيمي يهتف بقلمه من غيابث السجن ليُبيّن لفرنسا أنّ الذي مات، قد خلّف وراءه أندادً في الجزائر، يرفع قلمه جهورياً وفي قلبه جوى وحزن دفين على فقد حسام الجزائر، ليفتخر بزعيم الملحين وسيّد الأبطال، وقائد القادة، الصادق في الجهاد بالسّنان واللسان. اكتسحت قصيدته الأنساق اللغوية الدّلة على التّواسم والتشاكل، إنّها مأثرة من المآثر، وشعر نسجه على منوال المراثي التي كان يكتبها الشعراء القدامى. ماهي خصيصة هذا اللسان الذي نطق به البشير الإبراهيمي؟ هل يتخطى الميزة اللسانية إلى ميزات أخرى؟

الإبداع عملية كلية لا تتجّزأ، ولا تتمزع، فلا شكل ولا مضمون، ولا دال ولا مدلول، وإنّما هناك نص مطروح بين أيدينا، وفي صورته النهائية بكلّ أبعاده الفنية والجمالية والإيديولوجية، ويحمل الإبداع شبكة من العلاقات يعمل القارئ على فك شفراتها المتعّددة والمتجّددة، ليكون الخطاب أبهر وأروع وأعمق، كما قال الجاحظ" المعاني مطروحة في الطّريق، وإنّما المدار على غير ذلك من عبقرية النسج"

6) **بأيّة أداة** :

إن قراءتنا للقصيدة هي قراءة مجهرية، نحلّل فيها الدقيق، ونجلو بها الكامن في العلامات اللغوية، ونكبّر عبرها الصّغير، ونضخّم من حولها الضئيل في مسعى لتوضيح الغامض، وكشف الباطن، وتعرية المتواري، وإثارة المسكوت عنه، بين السّطور وما تخفيه السّمات اللغوية، وكأنّنا نكتب نصًّا جديدًا، وننتج نتاجًا شعريًا يافعًا ينبض بالحركة والدينامية والديمومة والسيرورة الممتدة عبر الحقب والسنين، إنّه الإبداع ولغة اللغة.

وإذن "فتحليل النص أو قراءته باصطلاح آخر، هو شكل من الكتابة أدنى إلى الممارسة الإبداعية منه إلى أيّ شيء آخر، على حين أنّ علم الاجتماع، وعلم النّفس، وعلم اللغة العام، وكل علم آخر هي من الأدوات والخلفيات التي يمكن أن يتظاهر النّقد بها على التنظير لهذه العملية المعرفية..."[24]. فقد لمحنا القصيدة مكتملة الأطراف، وصلدة الأركان، تتركّب من جمل سليمة، مرتبطة ارتباطا وثيقاً، ما حقّق لها نصيّتها وخطابيّتها .

إنّنا نصبو إلى التعويل على استخدام أدوات منهجية، وآليات إجرائية معروفة لمواجهة هذا النصّ الذي بين أيدينا، ونستزيد من المعرفة المقدمة إلينا، ونتشبّع من الإبداع المنهمر بالمياه العذبة، والماء الزلال.

و"ربما بدا للغرب من خلال التّوالي الإجرائي، الذي يمتح أصوله من أطرٍ فكرية وفلسفية محدّدة، باعثاً على القول بأنّه "يكتب ليقرأ،" وهو الإطار الذي أسند إليه "دريدا" تصّوره لمفاهيم الكتابة، في محاولة جاهدة لدفع التمركز الصّوتي، الذي كان عناية بالكلام على حساب الكتابة"[25].

يرى تودوروف أنّ للكتابة معنيان، ينحصر الأوّل في كونه النظام المنقوش للّغة المدوّنة، أمّا في معناها العام، فهي نظام مكاني و دلالي ومرئي.

لقد كان العرب سباقين بسنين خلّتن إلى الدراسة اللغوية واللسانية والتحليلية والتفكيكية والسميائية للنصوص، فتفوّقوا على الغرب. وكذلك "الحال الناطقة بغير اللفظ، والمشيرة بغير اليد ،ذلك ظاهر في خلق السماوات والأرض، في كلّ صامت وناطق"[26].

هكذا سمّى الجاحظ [ت255هـ] النصبة، دلالتها مبنية على نظرة فاحصة للنصّ المقروء، متجاوزة الكتابة إلى نوع من الاستغراق والتفكير، فالكون في حد ذاته كتابة ناطقة مشيرة وصامتة.

إذن تمة تحليل وقراءة متبصّرة متعمّقة ،تنصرف إلى سطح النصّ بقدر ما تنصرف إلى عمقه، وما القراءة إلاّ جهاز معرفي جمالي، يقف جهده على مواطن الجمال والتذوق الأدبي.

7) **المصطلح و الإجراء:**

انطلق البشير الإبراهيمي من رؤية لسانية، تصنّف النّص تصنيفًا شاملاً، إذ اعتمد على وسائل لغوية مثل الاتساق، الذي يعدّ المقوّم الأساسي في الحكم نصية أيّ نص، "النّصيّة تحقّق للنصّ وحدته الشّاملة، ولكي تكون لأيّ نصّ نصيّته، ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل اللغوية التي تخلق النصيّة، بحيث تسهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة"[27].

أين- يا أخت- الحسام المنتضى لصروف الدهر في اليوم العصيب
أين –يا أخت -الإمام المرتضى ذو البيان الحرّ والرأي الخصيب
أين من أن أمحل الفكر مضى يرحض الأمحال بالفكّر الخصيب

وردّت مورفيمات الأبيات الشعرية مرتبة ترتيبًا محكمًا، فالفصل والوصل والحذف والتكرار أضفى عليها جمالًا وأعاد إنتاج النّص في كل وقعة، إنه إكسير نسقي لابدّ منه في الكتابة الإبداعية، يزيد من اتساق الأنساق،تقول جوليا كريستيفا إنّ التكرار وحدة دلالية في اللغة الشّعرية، فما التكرار إلاّ آثار الإيحاء التي تحدث عنها هيمسليف.

يا أخت الحسام، يا أخت الإمام وكأنّها وصية للنفوس الجزائرية والعربية، لنقف وفقة متأنية في فقدان مصلح الوطن ،ورائد التعليم ،ونبراس القرآن، ويعيد التفكير في شؤون البلاد، ومن يتولّى زمام الأمر من بعده، إنّه تكرار باني ومخلق للمعاني.

- وما يهمّنا في هذه الورقة البحثية، هو الإنطلاق بأداة سيميائية لتقّصي السّمات اللغوية للقصيدة، وتقتضي منّا الضرورة المنهجية - بعد أن تطور الإجراء القرائي وازداد خبرة وممارسة وتغيّر المنظور المنهجي وتبدلت الرؤية المعرفية، واتسعت آفاق الخطابات - إلى الإفصاح عن المصطلحات السميائية المعتمدة. "يعتبر المصطلح أداة من أدوات التفكير العلمي ووسيلة من وسائل تطوّر العلوم والأداب، وهو أيضا لغة مشتركة للتفاهم والتواصل بين أعضاء فئة ما ،يجمع بين أعضائها مجال محّدد من مجالات الحياة والمعرفة، لا يقوم أيّ علم إلاّ بمصطلحاته"[28]

- ذلك أنّ مفاتيح العلوم مصطلحاتها، وإذا أحكم وضع المصطلحات، أحكم فهم اللغة ضبط معانيها، فوجود المصطلح العلمي الدقيق، مبرّر على جودة ودقّة هذا العلم.

- "ربما جسدت السميائية في مطلبها التعدّد في ديمقراطية النقد حين يسّمي الناقد عملة على النّص "قراءة" ليترك المجال لأقوال أخرى، وتأويلات أخرى تعيش مع أقواله وتأويلاته حالة من التعددية، التي تتناقص وتعاضد دون أن تصل إلى مرحلة المواجهة والسعي إلى إلغاء الآخر."[29]

- كان لزامًا علينا أن نقرأ القصيدة قراءة سميائية، بوصفها أحدث النظريات اللغوية التى تقارب النصوص وتأوّلها ،وتفتح آفاقًا لها نحو القراءات.

- "فإنّ السيميائية تعني في أبسط تعريفاتها وأكثرها وروجاً " نظام السّمة". أو شبكة من العلاقات المنتظمة بتسلسل..."[30]. فالنّسق هو نسق وتراكب الوحدات اللغوية فيما بينها، في بنيه النّص ونظامه، فهو ذلك الناتج الملّعب الذي اتسق أجزاؤه والتحمت أركانه، وتآزرت أشلاؤه في حلة نصّ دال.

وردفي مقاييس اللغة لابن فارس ت 295هـ "- نسق- النون والسين والقاف أصل صحيح، يدل على تتابع في الشيء، وكلام نسق : جاء على نظام واحد قد عطف بعضه على بعض."[31]

امتد هذا الانبثاق العلمي، وتجدّر في ساحة الدرس اللغوي العربي والغربي على وجه الخصوص، لما اعتبردي سوسيرDe Saussure اللسان نسقاً سيميائياً دالاً، يختلف عن الأنساق الأخرى في تنظيمه وبنائه، وعلى هذا الأساس تعاملت اللسانيات المعاصرة مع موضوعها على أنّه نسق سيميائي يتجلى في قابليته إلى التقطيع المزدوج إلى وحدة صوتية صغرى فونيم، ووحدة صرفية صغرى مورفيم، ووحدة تركيبية صغرى سانتكس، ووحدة معجمية صغرى ليكسيم، وما يحكم العناصر اللسانية ومستوياتها هو ترابط بنياتها بعضها ببعض، وهو النسق.

حرمت منه النفوس الرجية و تملت حظها منها الترب
أين حامي النفوس من شوب الضلال ومجير الحق من إفك الهوى
أين –يا أخت- حواري الجلال صيقل الأذهان إكسير القوى

احتفت القصيدة بمجموعة من الحروف الرخوة ،الخافتة المعاني، تدل على عمق الجرح و كبت الحزن الدفين،" الترخيم Apocopation منطوق يوحي باللطف والرقة، ومن ثمة فهو قريب من الرحمة التي من معانيها الرّقة والتعطف والرخمة أيضاً قريب من الرحمة ويقال وقعت عليه رخمته أي محبته ولينه، ويقال رحمان و رخمان ....وأنّ من معانيه اللغوية المودة والمحبة، والجميع عطف ورفق ومودة وحنان"[32] وكان النداء من أكثر مواضع الترخيم، طلباً للتخفيف والاقتصاد اللغوي كقوله : يا أخت تقديرها أنادي أختاً.

8) **السمات السيميائية للأنساق اللغوية في القصيدة:**

الأنساق اللغوية الدالة على التشاكل	الأنساق اللغوية الدالة على الحيّز	الأنساق اللغوية الدالة على التواسم
الحسام- المنتضى- الإمام-المرتضى- هلال- فارس- كشّاف- حامي- مجير- تجم-ليث- ذو البيان- الحر- خادر	اليوم-الحلبة-الليالي-الأمس- الدنيا-الفكر-عرين-الهوى-القوى	الرأي المصيب-الفكر الخصيب- أمين-مجير الحق-إكسير القوى-زئير- الطرير-المخذم-الرؤوس-الرئيس

إنّ جوهر الشعر هو الصوت، يُبنى على الكلمة في حد ذاتها، وذاتية الصوت جرسه، وهو القوة المؤثرة التي تتحكم في دلالة الألفاظ بوصفها علامة مميّزة للكلام، ودعوة إلى توحيد الدال والمدلول. لقد أنتجت هذه السمات اللغوية دلالة سيميائية نبعت من أصواتها، فأفادت معنى التشاكل أي التباين "التشاكل يريد به إلى المعنى الأجنبي isotopy-isotopie وقد استعمل هذا المصطلح محمد مفتاح في الكتابات العربية الجديدة"[33] الحسام،

المنتضى، المرتضى، كشّاف، ألفاظ دلّت على التواءم بينها وبين الفقيد عبد الحميد بن باديس، وهي صيغ إفرادية وصفية، صفات حملت معنى الموصوف.

تقوم ظاهرة المشاكلة في اللغة العربية على نظام من الأحكام المحدودة، يتخرّج عليها ما لا ينحصر من الصور اللغوية التي فزع إليها العربي في كلامه، إيفاءً لنظم الكلام وسياقه،" وقد فطن لهذه الظاهرة الزجاج في إعراب القرآن المنسوب إليه، وعقد باباً واسعاً لما يجيء في التنزيل من ازدواج الكلام المطابقة والمشاكلة، وكذا عرض الزركشي في البرهان لما يجيء في التنزيل من مشاكلة اللفظ للفظ، ومشاكلة اللفظ للمعنى...."[34] فالتشاكل ليس بمصطلح جديد على اللغوين العرب وخاصة منهم الأصوليين."... والشكل في اللغة الشّبه والمثل، وشاكل الشيئان وشاكل كل واحد منهما الآخر، شابهه وماثله، ويقال: هذا على شكل هذا أي مثاله، والمشاكلة الموافقة والمماثلة والمشابهة...."[35].

هكذا بنى الإبراهيمي قصيدته على المواءمة بين الدوال والمدلولات، إذ يبني النصّ الشعري نظامه انطلاقاً من اللغة ليؤلّف لغة جديدة ،تحقّق كيانه الفني بتظافر جملة من الوظائف أهمّها الوظيفة الشّعرية، التي تركّز على النصّ في حدّ ذاته، إذ تعمل على تحريك محوري الاستبدال والتأليف قصد الدمج العملي للوحدات اللغوية، وكذلك تعمل على تحريك مبدأ التكافؤ والتماثل بين الوحدات المكوّنة للنصّ، أو ما يطلق عليه التوازي، فأين يا أخت هلال الداجية فارس الحلبة كشّاف الكرب

كان نورا في الليالي الساجية ويل قومي إن توارى أو غرب

حرمت منه النفوس الراجية وتملت حظها منها الترب

أبدع الشاعر في تحقيق توازي شطري الأبيات، وأتقن في بناء هندسة القصيدة القائمة على الإدماج والتكافؤ.

أمّا الحيّز فهو كما عرّفه الشريف الجرجاني (ت616هـ) " الفراغ المتوهّم الذي يشغله شيء ممتد كالجسم، أو غير ممتد كالجوهر الفرد، وعند الحكماء هو السطح الباطن عن الحاوي المماّس للسطح الظاهر من المحوّى"[36] ويختلف عن المكان الجغرافي الذي ينشئه القاصّ أو الروائي في استعماله، بحيث يعتبر مجرّد هندسة مكوّنة من المكونات الشعرية أو السردية الأخرى للنصّ الأدبي كاللغة والزمان والإيقاع. فنجد حيّز قصيدتنا شاسع يشمل الأمة الجزائرية والأمة العربية بالإجمال في قوله: من رمى الأمة بالجدّ التعيس.

والتّواسم فهو تداخل السمات وتضافرها مع بعضها البعض،"... لتنجز فعلاً سيميائياً ينشأ عنه دلالة سيميائية تمثّل في اتفاق سمتين أو أكثر في موقع واحد، كتواسم السمات المتشاكلة أو السمات المتباينة بعضها مع بعض"[37]، ولقد ارتدت الأبيات رداء التواسم لأنّ كل السمات اللفظية تصّب في مصّب واحد، وهو رثاء و وصف الفقيد عبد الحميد بن باديس.

إنّ ما صنعه البشير الإبراهيمي بأبياته المتناسقة، بقيت كالطّود الشّامخ، يفخر به كلّ شاعر مغاربيّ بشعريّته وأدبيّته، ونحن هنا في هذا المقام نحتفي بالنظم الفنّي المتكامل، وبدلالة النصّ الكليّة المترابطة، ترك لنا الفضاء رحباً لنحيي تداوليّته وسيميائيّته، ونعمل على أجرأتها للأجيال،"... المادة اللغوية العربية بما تمتاز به من خصائص وسمات... فاللغة العربية كأيّة لغة طبيعيّة أخرى خصوصاً إذا كانت لغة ذات مسحة شعريّة أو شعريّة... تحطّم الحدود بالتضاد وبالتناسب وبالترابط، ممّا يكوّن فيضاً دلالياً يؤدي إلى التداخل والتكرار..."[38]

9) **خطاب منطوق يعبّرعن أصالة الشّاعر:**

انصبت دراستنا للأنساق اللغوية في قصيدة "تساؤل نفس "للبشير الإبراهيمي، ذلك المصلح الديني الذي أبدع إبداعاً حقيقيا، أنتجت أنامله نسجاً راقيًا بقي خالدًا عبر الأجيال، يحيا و ينمو ويثمر و يزهر على أيدي الدارسين والباحثين عبر العصور، يزداد شعره عنفواناً ومجداً، وتنبجس معانيه انبجاساً، فيمتلك بذلك أحقيّة إحيائيّة. هو كائن إنساني ونموذج فريد وطراز جيّد، هو سحابة ممطرة بقياس وعيه وإدراكه، يعالج الأنا الاجتماعي، الأنا الواعي و العقل اليقظ في أشعاره، ويرفع شعار الإنّية الجزائريّة.

نتوق من خلال مدارستنا لقصيدته إلى معرفة احتكاك الدوال مع مدلولاتها، لنوقن أشّد اليقين أنّه جاهد وناضل وقاوم وصمد من أجل الهويّة الجزائريّة، وفي سبيل رفع راية القرآن الكريم عاليًا ،كان الإبراهيمي يمتلك فيضًا روحياً ولغويًا وفراسة ذاتية، وكان عالمًا بأحداث الأمة العربية الإسلامية، يعبّر عن آلامها وغبنها بحسّ لغويّ عالٍ، يجلو في صيرورة دائمة.

عالج في عيون البصائر القضايا الإصلاحية لإصلاح حال الأمة، بجيلها ورجالها ونسائها، وحّد التعليم، وكان فيلسوفاً في التربية والتعليم، أعاد البصائر للظهور عام 1948، حاول خلق كتلة عربية إسلامية واحدة، مطالبة الأمة للأمة، من خطبه أيّها الشعب الجزائري، أيّتها الأمة الجزائريّة، ماثل أبو اليقظان بن الحاج عيسى في رفضه للتمثيل النيابي، وكان يراسل الصحف المصرية ويحتك بها، دافع مدافعة صلبة عن قضية فلسطين، وعن اللغة العربية إذ قال "يا فلسطين أنت في قلب كل مسلم جزائري، في قضيتك جروحا دامية، وفي جفن كل مسلم جزائري وفي حقك كلمات مترددة هي فلسطين قطعة من الوطن الإسلامي الكبير، قبل أن تكون قطعة من وطني العربي الصّغير..."[39] وفي مثل هذا المقام يقول أبو اليقظان المصلح الديني، الذي حمل رسالة الصحافة في عهد الاستعمار الفرنسي، أيّما حمل لعبء ثقيل، ضحّى بالنفس والنفيس في سبيل الوطن، قال "إنّ رسالتي إنسانيّة وليست يقظانيّة".

يقول الإبراهيمي "لا تزال آثار ذلك الشوطاني[**] بادية في معاملة الصحافة العربية، واعتبار لغتها أجنبية في وطنها، ولا تزال الأمة العربية الجزائرية تنكره وتتحداه، فهل آن الأوان لإلقائه والتنفيس على الصحافة وإعطائها حقوقها الطبيعيّة..."[40]، دافع بالقلم عن الحق لينشر الفضيلة وليسمو بالإنسانية إلى أعالي العالم قاطبة، تحدّى الظلم والفقر والحرمان والسجن والنفي.

"كما كانت الصحافة العربية ذات طابع حربي في مجملها، تعبّر عن الأحزاب الوطنيّة التي تولت القيادة لحركة التحرير الوطني العربي في تلك المرحلة، فمارست الثورة الحربية المسلحة أثناء السيطرة الأوربية وعانت من المطاردة والمصادرة، وبعد الاستقلال درست الصحافة العربية قضية الوحدة العربية، وتحرير فلسطين والتنمية والعدالة الاجتماعية"[41].

ما كانت تنقله لنا الصحافة في ذلك العهد من أخبار، لا يقل أهمية عما كانت تنشره على صفحات جرائدها، من مقالات وخطب وأشعار، يصوّر فيها كاتبها الواقع المرير الذي عاشه الشعب الجزائري إبّان الاستعمار من أمثال عبد الحميد بن باديس وأبو اليقظان والشيخ العقبي والشيخ الميلي والحاج الطّيب بن دحو، الذي حينما

اعتدي عليه قال: ولست أبالي حين أقتل مسلمًا على أيّ جنب كان الله مصرعي. كانت صحافة الثورة توزن بذهب، شعارها جهاد الكلمة والتضحية في سبيل نصر كلمة الحقّ.

10) **المعنى و تشكلّاته في نسق الخطاب الشعري:**

اهتم محمد مندور بنقد الشعر وتحليله، فتوصل إلى أنّ الشعر يقوم على عنصرين مهمين هما التجربة الإنسانية والصياغة الفنية، متناولاً بذلك الشكل والمضمون، فأقام تحليل الخطاب الشعري على ثلاث مستويات : المستوى الصوتي، المستوى التركيبي والمستوى الدلالي.

"...وكان العربي يحير في كيفية قيام المعنى العلامة على شفتيه، ثم كيفية إنتاج المعاني الجديدة في ذهنه، وهي أولى بواد الممارسة السيميائية، إنّه تلمس لعصب الدلالة في الكلام أي معنى أن تتكلم، وذلك من خلال إدراك العلاقات بين الكلمة والشيء، والكلمة والكلمة، الكلمة والفكر والكلمة والثقافة."[42]

11) **إستراجية الأنساق اللغوية في قصيدة" تساؤل نفس":**

لقد حفّز القرآن الكريم العرب على قراءة وفهم العلامات اللغوية وغير اللغوية الموجودة في الكون، وإدراك طبيعتها، فامتلكوا بذلك ناصية اللغة العربية، وتمكنوا من النحو والإعراب والعامل والشكل، فعرفوا حقيقة النظم وبلوروا نظرة في ذلك الشأن في العام الخامس الهجري.

"...وكنا قد علمنا أن ليس النظم شيئا غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم، وإنّا إن بقينا الدهر نجهد أفكارنا حتّى نعلم الكلم المفردة سلكا ينظمها وجامعاً يجمع شملها ويؤلفها، ويجعل بعضها بسبب من بعض، غير توخي معاني النحو وأحكامه فيها، ما كلّ محال دونه."[43]

لقد بان واتضح للمتفحص الحصيف أنه لا نيال المزية من النظم، إلّا إذا اتبع قوانين النحو، واحترم أصوله، وسلك المسالك التي ينهض عليها ترابط النصّ من فصل ووصل، وحذف وتقديم وتأخير، وكلّ معاني النحو التي تتطلّب حسن اختيار وحسن تأليق من متعاطي القول. إنّ تعلّق البشير الإبراهيم وصلته الوثيقة بالقرآن الكريم وتدبره لمعانيه، ومعرفته بأصوله وأحكامه، أكسبه فصاحة وبيان، نصية الخطاب القرآني هي الباعث الأوّل للإبراهيمي على أن ينسج ولو مثقال ذرة صغيرة على منوال الكتاب المعجز.

"إنّ الومضة أو الإشراقة التي تدفع الشاعر لكتابة القصيدة، تستدعي منه إيجاد الصورة الشعرية، لتقوم بوظيفة جمالية وتصبح قادرة على تكثيف المعنى وتحسين النّص، ربّما يقوم الشاعر بإعادة صياغة نصه أكثر من مرة أو الاشتغال عليه، وكلمّا اغتنت القصيدة بالصّور كلمّا أصبح تأثيرها أقوى"[44]. ولم يحير الإبراهيمي لما اعتمد في قصيدته على معاني الكلمات الآتية :امحل: امحالاً البلد أجذب ،الأرض انحبس عنها المطر.

انتضى: السيف- انسله من غمده

خادر خدر خدرا: خدرت العين: تقلت، الحر: اشتد وتعاظم، تحيّر، الطرة الجبهة والناصية، طرف كل شيء.

العضب: الناصر والمعين.

"أوّل ما يعني أن العلامات لا تحيل عل شيء يقدر ما تستقل عن نظام الأشياء لتتأسّس في نسق لغوي ينتج ويعيد إنتاج الدلالة ، طبقا لقواعد داخلية هي في جوهرها قواعد سيميائية... وإذا استقر لدينا أن اللغة نسق سيميائي، فإنّ الدلالة تتولّد داخله من تفاعل عناصره المكوّنة، وحسب دي سوسير، في الأنساق السيميائية كما هو الحال في اللغة، حيث العناصر تتساند في توازن بحسب قواعد محدّدة، فإنّ مفهوم الهوية يتداخل مع مفهوم القيمة "[45].

ووفق هذه الرؤي ينصح لنا أن هوية الشاعر العربية المغاربية هي التي أكست العلامة اللغوية دلالة مستجدة تبعا للقيمة الراهنة، في عام 1940، وفحوى التداخل والتعالق بين الهوية والقيمة هو السياق الجديد الذي انخرطت فيه العلامة، مع العلامات المجاورة مشكّلة شبكة علائقية كبيرة وهي القصيدة.

تُبنيّن شعرية النسق الشعري عن مثالية متسامية حاملة مناحي شعورية وتعبيرية فيّاضة، وجامعة لقيم مثلى امتزجت بين خليقة وإنسانية واجتماعية أصيلة، صّورها الشاعر المغاربي في أجمل وأروع وألطف وأعمق المعاني التي انسابت خلسة في هيكل القصيدة ،مرهونة برفع الحصار عن الشاعر العربي الحرّ الذي دافع ولايزال يجالد ويقاتل ،وينفى قلمة في سبيل رفع راية الحقّ، وإدامة وسيرورة الدم العربي في عروق العالم بأسره،-ولم يرتقي ذلك الآخر إلاّ على شتات موائد العلماء العرب -والبقاء للمسلم هو الأفدى.

لتظل خصوصية العمل الشعري حاضرة داخل اللسان العربي المغاربي، بل إنّ حدّتها لا تفتأ تتزايد ،منذ أن وطأت أقدام المستعمر بلاد المغرب العربي، وتفاقمت المدلولات وعبَرت من النسق اللساني إلى النسق السيميائي في منظومة معرفية راقية، وجذبت حولها لآلئ القول والكتابة، مذ أعلن عن انعقاد ملتقى العرب والمغاربة في مرسى مخصّص لرسوّ سفن العلوم والمعارف، والرجالات من كلّ صوب ومصر، بغية تكريم الشاعر العربي الكفيل بنيل تاج الصّدارة والجدارة الأدبية، المسلّح بآفاق المعاني اللامتناهية في كون اللانهائيات.

وهكذا الذات المسلمة العربية المغاربية في بحث دؤوب عن نسق أحاد، يمثل الباحث و ينوب عنه في محافل عربية وغربية ،شيّدت لها الصّروح العلمية واللغوية على أكتاف العربي.

هوامش البحث:

1) الفاعلية في اللسانيات-مقاربة الفاسي الفهري-:هيفاء جدة السعفي، إربد الأردن، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2014، ص223.
2) الترابط النصّ في ضوء التحليل اللساني للخطاب: خليل بن ياسر البطاشي، عمان، دار جرير للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2013، ص213.
3) درس السيميولوجيا: رولان بارت، ترجمة عبد السلام بن عبد العالي، المغرب، دار توبقال للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1993، ص14.
4) سيمياء الأنساق – تشكلات المعنى في الخطابات التراثية-: آمنة بلعلى، لبنان، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى 2013، ص9.
5) المرجع السابق: ص12.

6) السيميائيات الواصفة - المنطق السيميائي و جبر العلامات-: أحمد يوسف لبنان، الدار العربية للعلوم، الجزائر، منشورات الإختلاف، بيروت، المركزالثقافي العربي، الطبعة الأولى،2005، ص29.
7) طوق الحمامة الُألفة والآلاّف: ابن حزم الأندلسي، الجزائر، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 2016، ص60.
8) شعرية القصّ و سيميائية النصّ- تحليل مجهري لمجموعة الدخول إلى الجنة-: عبد المالك مرتاض، الجزائر، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2013، ص16.
9) ينظر المعجم المفصّل في علوم اللغة الألسنيات : محمد التولجي و راجحي الأسمر، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى،2001، ص355.
10) منتخبات الأدب العربي: حنا فاخوري، لبنان، منشورات المكتبة البوليسية، الطبعة الثالثة، 1968، ص4.
11) النظرية الألسنية عند جاكبسون: فاطمة الطبال بركة، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1993، ص75.
12) قضايا الشعريات - متابعة لأهمّ قضايا الشعر المعاصر-: عبد المالك مرتاض، الجزائر، دار القدس العربي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2009، ص130.
13) الشعر بين الجيلين: إبراهيم السامرائي، لبنان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، د.ط، ص7.
14) النصّ والحطاب والإجراء: روبرت دي بوجراند، ترجمة تمام حسان، القاهرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1998، ص97.
15) دراسات في الأدب الجزائري الحديث: أبو القاسم سعد الله، تونس، الدار التونسية للكتاب، الطبعة الثانية، ص14.
16) مذكرة ليسانس: دراسة تحليلية نقدية لكتاب أبو اليقظان وجهاد الكلمة رائد الصحافة الأدبية في الجزائر، الطالبة بللو زهرة، المشرف مياحي سليمان، جامعة السانيا وهران، كلية الآداب واللغات والفنون،2001، ص10.
17) منتخبات الأدب العربي: حنا فاخوري، ص232-233.
18) ينظر نظرية النقد والأدب: جان ستاروبنسكي، ص268.
19) ينظر مقال :الصحافة العربية و مهمتها: سيف الدين، جريدة البصائر.
20) مواقف الإمام الإبراهيمي-من وحي آفلو-: محمد دراجي، الجزائر، عالم الأفكار، الطبعة الأولى،2008، ص10.
21) الآثار: البشير الإبراهيمي، الجزء3، ص26.
22) مواقف الإمام الإبراهيمي- من وحي آفلو-: محمد داجي، ص13.
23) مقال: منهج جمالية تلقي النص الأدبي- الواقع والمأمول-: محمد ملياني، مجلة الكلمة، ص145.
24) في نظرية النقد- متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة و رصد لنظرياتها-: عبد المالك مرتاض، الجزائر، دار هومة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2002، ص68.
25) فعل القراءة النشأة والتحول-مقاربة تطبيقية في قراءة القراءة عبر أعمال عبد المالك مرتاض-: حبيب مونسي، الجزائر، منشورات دار الغرب، الطبعة الأولى،2001، ص13.
26) البيان والتبيين: الجاحظ، القاهرة، مكتبة الخانجي، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، الطبعة السابعة، 1998، ص76.
27) الأسلوبية و تحليل الخطاب: نور الدين السد، الجزائر، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزء الثاني، ص69.
28) مقال: المصطلح في النقد الأدبي-المصطلحات عند جيرار جينات-: محمد بن سعيد، مجلة المترجم، العدد 26، 2012، وهران، ص25.
29) فعل القراءة النشأة والتحول: حبيب مونسي، ص58.
30) دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي لمحمد العيد، عبد المالك مرتاض، الجزائر، بن عكنون، ديوان المطبوعات الجامعية، ص11.

31) مقاييس اللغة: ابن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الجزء 5، ص420.

32) المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية: مكي درار، سعاد بسناسي، الجزائر، دار أم الكتاب، الطبعة الثالثة، 2013، ص139.

33) تحليل الخطاب الشعري: محمد مفتاح، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ص19.

34) دراسات اللسانيات العربية-المشاكلة التنغيم- رؤى تحليلية: عبد الحميد السيد، الأردن، دار الحامد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2004، ص7.

35) المرجع السابق : ص7

36) ينظر قراءة النص بين محدودية الاستعمال ولا نهائية التأويل- تحليل سيميائي لقصيدة قمر شيراز للبياتي-: عبد المالك مرتاض، مؤسسة اليمامة الصحفية، د.ط، 1998.

37) ينظر المرجع السابق.

38) التلقي والتأويل: محمد مفتاح، بيروت، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 1994، ص10.

39) ينظر عيون البصائر: البشير الإبراهيمي.

40) المرجع السابق : ص27.

41) دراسات في الصحافة العربية المعاصرة : عواطف عبد الرحمان، بيروت، دار الفارابي، الطبعة الأولى، 1989، ص25.

42) سيمياء الأنساق : آمنة بلعلى، ص35.

43) دلائل الإعجاز في علم المعاني: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد رشيد رضا، لبنان، دار المعرفة، الطبعة الثالثة،2001، ص253.

44) الإعلام التلفزيوني: سليم عبد النبي، الأردن، دار أسامة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2010، ص87.

45) سيميائية المعرفة المنطقية -منهج وتطبيقه- محمد قاري، القاهرة، مركز الشباب للنشر، الطبعة الثانية، 2002، ص15.

(*) توماس كامبل : شاعر ومؤلف اسكتلندي، كتب لذات الأمل ورسائل من الجنوب.

(**) الشوطاني : شوطان، أحد رؤساء الوزارات الفرنسية، أحد أقطاب الاستعمار، وهو الذي أصدر قانونا بمرسوم يصرح باعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر.